المحاضرة رقم (04) الاحتلال الفرنسي للجزائر1830

ما هي الخلفيات الحقيقية لإحتلال الجزائر،وكيف سقطت؟ **الأسباب الحقيقية الإحتلال الجزائر:**

1- ظاهريا : حادثة المروحة يوم أفريل 1827 هي التي أدت إلى تأزم العلاقات بين الجزائر وفرنسا، لكن من الناحية التاريخية فإن فرنسا كانت تخطط لإحتلال الجزائر والإستيلاء عليها منذ ق 13،واتضحت نواياها في ق 18 ،فقد كانت هناك رغبة قوية للتجار الفرنسيين أن تحل فرنسا محل إسبانيا في شمال إفريقيا وتسيطر على هذه المنطقة الغنية بالثروات الطبيعية وبصفتها موقعا استراتيجيا هاما من الناحية العسكرية فإن الجيش الفرنسي كان يسعى باستمرار لتقوية أسطوله وإبعاد السيطرة الإنجليزية على حوض البحر المتوسط ،لكن المشكل أن فرنسا لم تكن قوية أو قادرة على فرض نفسها في حوض البحر المتوسط وأن الدول القوية الكبرى بأروبا غير مساندة بقبول أي توسع فرنسي في شمال إفريقيا يكون على حسابها كما أن قيام الثورة الفرنسية قد غير مجرى الأمور في فرنسا ذاتها ،حيث وجه نابليون إهتمامه إلى الطبقة الأرستقراطية التي قهرها وصمم على إضعاف بريطانيا والدول الكبرى التي كانت ساندها وتحالف معها ولهذه الأسباب تأجل غزو الجزائر إلى غاية إنهزام "نابليون" وعودة جيشه المهزوم إلى فرنسا سنة 1815.

وابتداء من هذه السنة التي عادت فيها الرجعية الفرنسية للحكم بمساعدة الحلفاء ،بدأ الصراع الداخلي بين رجال العهد القديم والجيل الثوري الجديد في الحقيقة أن مجرد عودة شارل العاشر وبقية أفراد الحاشية المطرودين من قبل قيادة الثورة قدآثار مخاوف الفرنسيين خاصة وأن الأسرة الملكية قد أعيدت إلى البلد من طرف الحلفاء وليس تلبية لرغبة الشعب ولعل الشيء الذي زاد الوضع سوءا هو "تصميم "المطرودين من أبناء الأسرة الملكية الذين عادوا إلى فرنسا على استعادة نفوذهم ومعاقبة الأفراد الذين تعاملوا مع الحكم الثوري ،الذي وضع حدا لامتيازاتهم وهكذا وجد الملك نفسه وجها لوجه مع أعضاء البرلمان الجديد الثائرون على الأسرة الملكية ورأى أن الحل الوحيد للتغلب على الأزمة، هو ترضية رجال الجيش بتشجعهم على تحقيق انتصار عسكري يعيد لهم الثقة بالنفس والهيبة الإجتماعية التي فقدوها بعد إنهزامهم في أوروبا ، رأى أنه من الضروري تشكيل تحالف مع التجار الذين جردتهم الثورة من مكانتهم الإجتماعية المرموقة في المجتمع، و الإمبراطورية قضت على أرباحهم الهائلة وإبعاد "نابليون" وإعادة السيطرة البريطانية على التجار في العالم ،كما أن الدول الكبرى مثل بريطانيا والنمسا قد شجعا شارل العاشر على القيام بغارة على الجزائر بحيث يحافظ على المكانة التي فقدوها بعد إنهزامهم في أوروبا. - **2. باطنيا:** ومن هنا نستخلص الأسباب الحقيقية لإحتلال الجزائر والإستيلاء على خيراتها وهي:

1.2. الأسباب السياسية: - تتمثل في إعتبار حكومة الرياس في الجزائر تابعة اللإمبراطورية العثمانية التي بدات تنهار والدول الأروبية تتهيأ اللإستيلاء على الأراضي التابعة لها. - خاصة أن الفرنسين كانوا يعتقدون أنهم سيحصلون على قيمة تقدر ب150 مليون فرنك توجد بخزينة الداي. - كما ان شارل العشر ملك فرنسا كان يرغب خلف تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر والتمركز في ميناء الجزائر الذي كان يعتبر في نظر الملك الفرنسي تابعا للإمبراطورية العثمانية المنهارة. - كما أن المعارضة التي سيطرت على مجلس النواب في انتخابات نوفمبر 1827،التي خلفت مصاعب داخلية للملك الففرنسي الذي كان يعتقد أن الحل الوحيد لإسكات المعارضة هو إحراز إنتصار باهر على داي الجزائر ،وإذا لم يتمكن من ذلك فإن المعارضة سوف تحرز إنتصار آخر في الإنتخابات البرلمانية.

2.2. الأسباب العسكرية: إن أنهزام الجيش الفرنسي في أوروبا وفشله في إحتلال مصر والإنسحاب منها تحت ضربات القوات الإنجليزية في سنة1801,قد دفع بنابليون بونابرت أن يأخذ ضباطه إلى الجزائر في الفترة الممتدة في 24 ماي 17جويلة 1808 لكي يضع له خطة عسكرية تسمح له باقامة محميات فرنسية في شمال إفريقيا تمتد من المغرب الأقصى إلى مصر مثلما عملت روما في الماضي وفي عام 1809،قام هذا الضابط العسكري بوتان بتسليم المخطط العسكري لإحتلال الجزائر إلى نابليون واقترح فيه على الإمبراطور الفرنسي أن يحتل مدينة الجزائر عن طريق البر،ثم التوسع لإحتلال بقية أراضي الجزائر لأن بقية المقاطعات الجزائرية سوف تتعاون فيما بينها وتصليح بالسلطات الفرنسية في الجزائر العاصمة. **وعند انهزام نابليون في معركة "واترلو"**سنة 1815وتحالف الدول الكبرى ضد الجيش الفرنسي في أوروبا شعر ملك فرنسا أنه من الأفضل

أن يعتمد على سياسة التوسع في إفريقيا وعمل على انتقال الجيش بمسائل حيوية تتمثل في إحتلال الجزائر و تحقيق إنتصار باهر وبالتالي:يتخلص الملك من إمكانية قيام الجيش بانقلاب ضده في فرنسا .

3.2. الأسباب الإقتصادية : إن الجوانب الإقتصادية قد لعبت دورا قويا بإقدام فرنسا على إحتلال الجزائر وظهر هذا بوضوح في الدراسة التي نشرها تاليران في شهرجويلية منة عام 1797 والتي كان عنوانها "محاولة حول الإمتيازات التي يمكن الحصول عليها من جراء إنشاء مستعمرات جديدة في الظروف الحالية" ،وقد طلبت حكومة فرنسا في عهد نابليون في الجزائر أن يجيبها بدقة عن بعض الأسئلة المتعلقة بمشروع إحتلال الجزائر ،وإنطلاق من هذه الحقائق فقد تعاون الرأسمالون الفرنسيون الذين كانت تدفعهم مصالحهم المالية إلى التوسع والعثور على أسواق جديدة ومواد خام ضرورية لهم مع رجال الجيش الفرنسي الذين كانوا يبحثون على المغامرات وملأ جيوبهم بواسطة النصب حتى يرتقوا إلى مصاف الشخصيات الراقية في المجتمع الفرنسي كما أن مجموعة كبيرة من التجار كانت متحمسة لفكرة إحتلال الجزائر ،والإستيلاء على الأراضي الخصبة بها وزراعة العنب والبحث عن الذهب في المناجم الجزائرية،واستجابة لرغبة هؤلاء التجار ،قام الجنرال "كلوزيل" فب بداية الإحتلال بإصدار قانون يقضي بتسليم الأراضي الجزائرية الخصبة للمهاجرين الأوروبيين وبرزت قوة التجار النواب الفرنسيين في تكوين كتلة قوية في البرلمان للدفاع عن مكتسبات الاوروبين في الجزائر وطرد كل من يحاول مراقبتهم أو الحد من سيطرتهم وقد أحرزوا على نجاح هائل إلا درجة أنهم إستطاعوا شراء أغلب إراضي متيجة في سنوات قليلة،وفي أغلب حالات كان التجار المتلهفون على إمتلاك خيرات الجزائر يشترون أراضي وهم لم يرونها بتاتا لأنها بتاع لهم من طرف شخص ثالث يكون في العادة يهودي يستوحد على الدرهم المدفوعة له والأشخاص الذين كانوايقومون بالوساطة لبيع الأراضي للفرنسيين . وليس هناك جدال بأن مجموعة صغيرة من اليهود الذين كانوا يقومون بالوساطة في كل عملية تجارية قد كانت الفئة مستفيدين من غزو اجزائر لأن الإحتلال الفرنسي قد حقق للجالية اليهودية بالجزائر أمنيتها الكبرى المتمثل في:الثأر من المعاملة القاسية التي كان يعامل بها أبناء البلد الأصليين والأتراك والعرب الذين قدموا من الأندلس .

4.2. الأسباب الدينية: - الصراع القائم بين الدول المسيحية الأوروبية والدولة العثمانية الإسلامية التي انعكست على الجزائر،خاصة أن الأوروبيين كانوا يتهمون الجزائريين بالقرصنة في حوض البحر الأبيض المتوسط بقصد الحصول على الغنائم والثروة والسجن من أجل الحصول على فدية من الأوروبيين ،لكن الداي لم يبال بهذه الإتهامات وإجابهم بأن"لا يمكن التخلي الحكومة الجزائرية على حقها في الإشراف على ما يجري في الحوض المتوسط"وفي نظره العملية التي تجري في البحر من القرصنة والسجن هي بمثابة جهاد ودفاع عن الأوطان.- لكن تظهر النية لإحتلال الجزائر في التقرير الذي رفعه السيد"كيرمون"وزير الحربة الفرنسية إلى مجلس الوزراء لمؤرخ في 14أكتوبر1827 يقول فيه "بأنه ممن الممكن ولم يمضي الوقت أن يكون لنا الشرف في أن نمدهم وذلك يجعلهم مسيحيين" **وفي نفس الخطاب نستخلص** من خطاب الملك فرنسا شارل العاشر الذي أعلن على أمام الجمعية الوطنية الفرنسية يوم 2 مارس 1830 "بأن التعويض الهائل الذي أريد الحصول عليه وآثاره الشرف فرنسا،سيتحول بمعونة الله لفائدة المسيحية".

- **سقوط العاصمة:** لقد كان طبيعيا ان تسقط الجزائر بسهولة في أيدي الفرنسيين يوم 05/08/ 1830 وذلك بسبب: - **إنفراد الداي بسلطته واعتماده على مجموعة صغيرة من الجنود والأقرباء** الذين كانوا يخدمونه أما أبناء الجزائر فقط كانوا يعيشون في عزلة تامة ولم تكن لهم مسؤولية في السلطة وذلك لم يكن لديهم حماس أو رغبة للوقوف إلى جانب الداي بسهولة وسرعة فائقة ويرجع في الأساس إلى: - **عدم إعطاء أهمية لتكوين الجيش الجزائري وتدريبه على فن القتال** ولهذا لم يصطدم الفرنسيين بجيش حقيقي وقوي ومهم ليرد عليهم وعلى أحقالهم هذا ما أدى بالداي إلى إنهياره وضعفه في المواجهة والمقاومة بسبب: - **اعتماد على العناصر القادمة من "الأناضول" وتعاقده مع اليهوديين "بوشناق و بكري"** منحها حق شراء القمح وتصديره حتى يمون الجيش الفرنسي والجيش الرابط بخريرة مالطا وجبل طارق وبذلك أظهر الداي جشعه وطمعه في تكوين ثروة مالية هائلة يدفع منها رواتب جنوده ونفقاته الكبيرة دون الإعتماد على السكان المحليين بإختصار. فإن الداي كان يعتقد بأن العاصمة محصنةوان جيشه النظامي قادر على مواجهة الفرنسيين في حالة هجومهم على موانىء الجزائر المحصنة خاصة

بعد نزول الجيش الفرنسي ميناء"سيدي فرج" يوم 14 جوان 1830بدأ يستعد. لكي بزحف على الجزائر العاصمة من الغرب ،حيث شعر بالخوف على نفسه وسلطة حيث قام باجتماع يضم أحيان البلاد ورجال القانون واستعراض معهم الوضع الحظير الذي كانت عليه المدينة وطلب منهم أو إعطاء رأي من أجل تحقيق السلام والأمان في البلاد حيث قال لهم:"أصدقائي لا تتحرجوا وقولوا رأيكم بصراحة في مثل هذه الظروف يجب أن نتداول على أنجح الوسائل ليست إلا واحدا منكم فما ترون؟هل من الممكن أن نقاوم الفرنسي مدة أطول هل يجب أن نسلم المدينة بها تسمى الإستسلام؟فأجابه أحيان المدينة سنحارب إلا أن نستشهد على آخرنا مع ذلك فإن فضل سموكم وسائل آخرى فإنه حر أن يعمل ما يراه صالحا وسيجدها عند أرادته. **إن سقوط العاصمة حسب المؤرخون راجع إلى: - تعيين "الاغا ابراهيم" على رأس الجيش يدل من "الآغا يحي"** الذي كانت لديه خبرة في القيادة العسكرية في عهد الدايات،حيث قام الداي باستبداله بصهره ابراهيم الذي لا يفهمشيئا في قيادة الجيش وبالتالي مهد الطريق لإحتلال الفرنسيين حيث نجد الداي كان على علم مسبق بخطة فرنسا القاضي للدخول إلى ميناء سيدي فرج ،ولم يأمر قائد جيشه بحفر الخنادق أونصب المدافع للتصدي للعدو وبمجرد تطأ أقدامهم على أرض الجزائر ،نزلت القوات الفرنسية بالميناء حيث لم يكن سيدي فرج 12 مدفعا،300 فارس،تحت تصرف صهره إبراهيم الذي انهزم في **معركة سطاوالي** الذي ترك جيشه اختفى وفي هذه الأثناء قرر الداي أن يطلب من المفتي "شيخ الإسلام "أن يتولى الناس وجمعهم للدفاع عن الليل لكن لسوء الحظ قد فات الأوان ونتج عن ذلك كله:تسليم الجزائر للفرنسيين . - **أما الخطأ الثاني الذي وقع فيه الداي يكمن** فيه ثقته العمياء واعتماده على الوزير المالية الخزناجي وإرساله للدفاع عن قلعة"مولاي الحسن"،"حصن الأمبراطور". وكان يهدف الخزناجي للوصول إلى الحكم و لإستيلاء عليه من خلال التفاوض مع الفرنسيين وابرام معاهدة "الإستسلام"معهم حسب شروط فرنسا مقابل إعتراف الخزناجي لبديل الداي. **و في الآخير نستخلص أن :جماعة الداي المحيط به كانت تتآمر عليه بالحلفاء وتتواطأ مع الأعداء** لذلك كان من الصعب أن ينجح في محاربة فرنسا وصد هجوماتها من الجزائر. - **عدم وجود انضباط في صفوف رجال الأمن والسماح** لبعض العناصر أن يتصلوا بالعدو وتنقل المعلومات التضليلية من مخابراتها وتنشرها في أوساط الشعبية . - **غياب خطة مدروسة لمواجهة الفرنسين وانعدام القيادة** التي تستعين بأراء الخبراء والإتفاق على خطة دقيقة وخاصة في إختلاف الآراء وعدم التفاهم فيها .عكس الفرنسين الذين جاءوا وبحوزهم خطة رسمها الضابط "بوتان"يوم24ماي 1808،كما أن رئيس وزراء فرنسا بولينياك قام أيضا بإعداد خطة والتي عرضها على مجلس الوزراء والتي تتضمن خطته فمايلي: - **إبقاء الداي في حكم الجزائر على أن تشرف فرنسا عليه من الناحية العسكرية** وتتقاسم فرنسا الجزائر مع الدول الأوروبية خاصة انجلترا. **وعشية احتلال الأسطول الفرنسي وشن الحرب على الجزائر قامت الحكومة الفرنسية** بطبع منشور باللغة العربية وفي الحقيقة هو بمثابة بيان لخلق بلبلة في صفوف الجزائر وإعطائه أنطباع بأن الفرنسين قدموا لتخليص الجزائريين من السيطرة التركية وبذلك يتضامنون مع فرنسا ولا يتصدون لها. - ومن خلال هذه البيانات التي وزعت في الجزائر والتي أثرت في نفوس وجهاءالمدينة الجزائر التي من خلا له تحصلت معنويات التجار والمحاربين بمجرد استيلاء "دي بورمون" على حصن الداي ،وفي هذه الفترة الحرجة طلب الداي من أعيانه أن ينصحوه ماذا يفعل ؟ وهل يواصل المقاومة أم يستسلم من خلال الإجتماع في **حصن"باب البحرية"**قرروا تسليم الجزائر للفرنسيين لأن الجزائر ضائعة. وهكذا قام أعيان الجزائر بارسال وفد لمقابلة الداي وتقديم هذه الإقتراحات له حيث أرسل وفدا يتكون من المقطاجي وأحمد بوضرة والحاج حسين بن حمدان خوجة من أجل التفاوض و تحديد شروط الإستسلام وبعد نقاش قصير ثم الإتفاق على مايلي: - **تسليم القصبة وكل الحصون والميناء للقوات الفرنسية يوم 05 جويلية 1830 - إنسحاب الداي مع عائلة وثرواته الشخصية مع توفر الأمن له. - تامين لجمع أفراد الميليشيا الإمتيازات والحماية. - الحرية في الديانات وعدم المساس بها.** يشهد القائد العام بشرفه على تنفيذ ما جاء بالبنود وفي 06 جويلية1830دخل الجنود الفرنسي مدينة الجزائر من الباب الجديد بأعلى المدينة وأنزلت الإعلام دولة الداي من جميع القلاع والابراج ورفعت في مكانها رايات الإحتلال الفرنسي وأقيمت صلاة المسيحيين وخطب فيها كبير القساوسة لقائدالحملة وقال مخاطبا: لقد فتحت الباب للمسيحية على شاطىء افريقيا" .